أسماء الله الحسنى

شرح اسماء الله في ضوء الكتاب و السنة

سعيد بن علي

تنسيق وإخراج موقع معرفة الله
www.knowingallah.com

أسماء الله الحسنى

شرح اسماء الله في ضوء الكتاب و السنة

سعيد بن علي

تنسيق وإخراج موقع معرفة الله

www.knowingallah.com

المحتويات

أسماء الله تعالى توقيفية	٧
أركان الإيمان بالأسماء الحُسنى	٨
أقسام ما يوصف به الله تعالى	٩
دلالة الأسماء الحُسنى ثلاثة أنواع	١٢
حقيقة الإلحاد في أسماء الله تعالى	١٣
إحصاء الأسماء الحُسنى أصلٌ للعلم	١٦
أسماء الله كلها حُسنى	١٧
أسماء الله تعالى منها ما يطلق عليه مفرداً ومقترناً بغيره	١٨
من أسماء الله الحُسنى ما يكون دالاً على عدة صفات	١٩
الأسماء الحُسنى التي ترجع إليها جميع الأسماء والصفات	٢٠
أسماء الله وصفاته مختصة به،واتفاق الأسماء لا يوجب تماثل المسميات	٢٨
أمور ينبغي أن تُعْلَم	٣٦
مراتب إحصاء أسماء الله الحُسنى التي من أحصاها دخل الجنة	٣٨

الأسماء الحسنى لا تُحدُّ بعدد ٣٩

شرح أسماء الله الحُسنى _ الأول ، الآخر، الظاهر ، الباطن ٤٠

العَليُّ، الأعلى، المتعالِ ٤٢

العظيمُ ٤٣

المجيدُ ٤٥

الكبيرُ ٤٦

السَّميعُ ٤٧

البصيرُ ٤٨

العَليمُ، الخبيرُ ٤٩

الحميدُ ٥١

العزيزُ،القديرُ،القادرُ،المُقتدر ،القويُّ،المتينُ ٥٢

الغَنِيُّ ٥٥

الحكيمُ ٥٦

الحَليمُ ٥٨

أسماء الله تعالى توقيفية

أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها، وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك على النص لقوله تعالى: «**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**» (١).

وقوله: «**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِالله مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى الله مَا لاَ تَعْلَمُونَ**»(٢)؛

ولأن تسميته تعالى بما لم يُسمِّ به نفسه،أو إنكار ما سَمَّى به نفسه جناية في حقه تعالى فوجب سلوك الأدب في ذلك،والاقتصار على ما جاء به النص(٣).

([١]) سورة الإسراء، الآية: ٣٦ .

([٢]) سورة الأعراف، الآية: ٣٣ .

([٣]) القواعد المُثلَى في صفات الله وأسمائه الحُسنى، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص١٣، وانظر: بدائع الفوائد لابن القيم، ١/ ١٦٢

أركانُ الإيمانُ بالأسماء الحُسنى

١- ألإيمان بالاسم.
٢- الإيمان بما دل عليه الاسم من المعنى.
٣- الإيمان بما يتعلق به من الآثار.
فنؤمن بأن الله رحيمٌ ذو رحمة وسعت كل شيء، ويرحم عباده. قدير ذو قدرة، ويقدر على كل شيءٍ. غفور ذو مغفرة ويغفر لعباده([١]).

([١]) مختصر الأجوبة الأصولية شرح العقيدة الواسطية، لعبد العزيز السلمان، ص٢٧ .

أقسام ما يوصف به الله تعالى

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ما يجري صفة أو خبراً على الرب تبارك وتعالى أقسام:

أحدها: ما يرجع إلى نفس الذات كقولك: ذات، وموجود، وشيء.

الثاني: ما يرجع إلى صفات معنوية كالعليم، والقدير، والسميع.

الثالث: ما يرجع إلى أفعاله نحو: الخالق، والرزَّاق.

الرابع: ما يرجع إلى التنزيه المحض، ولابد من تضمنه ثبوتاً؛ إذ لا كمال في العدم المحض كالقدوس السلام.

الخامس: ولم يذكره أكثر الناس، وهو الاسم الدال على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة مُعَيَّنة، بل هو دال على معناه لا على معنى مفرد، نحو: المجيد، العظيم، الصمد؛ فإن المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال، ولفظه يدل على هذا فإنه موضوع للسعة، والكثرة، والزيادة، فمنه استمجد المرخ والغفار، وأمجد الناقة علفاً. ومنه ((**رب العرش المجيد**)) صفة للعرش لسعته وعِظَمِهِ وشرفه([١]).

وتأمل كيف جاء هذا الاسم مقترناً بطلب الصلاة من الله على رسوله كما علمناه صلى الله عليه وسلم؛ لأنه في مقام طلب المزيد والتعرض لسعة العطاء وكثرته ودوامه، فأتى في هذا المطلوب باسم تقتضيه كما تقول: اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، ولا يَحسن إنك أنت السميع البصير، فهو راجع إلى المتوسل إليه بأسمائه وصفاته، وهو من أقرب الوسائل وأحبها إليه.

([١]) قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: ((المجيد فيه قراءتان: الرفع على أنه صفة للرب ، والجر على أنه صفة للعرش، وكلاهما معنى صحيح))، ٤/ ٤٩.

ومنه الحديث الذي في المسند والترمذي: ((**ألظُّوا بياذا الجلال والإكرام**))([٢])، ومنه: ((**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام**))([٣])، فهذا سؤال له وتوسل إليه وبحمده، وأنه الذي لا إله إلا هو المنَّان، فهو توسل إليه بأسمائه وصفاته، وما أحق ذلك بالإجابة وأعظمه موقعاً عند المسؤول، وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد أشرنا إليه إشارة ،وقد فُتِحَ لمن بصَّره الله.

ولنرجع إلى المقصود وهو وصفه تعالى بالاسم المتضمن لصفات عديدة. فالعظيم من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال. وكذلك الصمد، قال ابن عباس: هو السيد الذي كَمُلَ في سؤدده، وقال ابن وائل: هو السيد الذي انتهى سُؤدده. وقال عكرمة: الذي ليس فوقه أحد وكذلك قال الزجاج: الذي ينتهي إليه السؤدد فقد صمد له كل شيء. وقال ابن الأنباري: لا خلاف بين أهل اللغة أنَّ الصمد السيد الذي ليس فوقه أحد، الذي يَصْمُدُ إليه الناس في حوائجهم وأمورهم. واشتقاقه يدل على هذا فإنه من الجمع والقصد الذي اجتمع القصد نحوه واجتمعت فيه صفات السؤدد وهذا أصله في اللغة كما قال:

ألاَ بَكَر الناعي بخير بني أسدْ بعمرِو بن مسعودٍ وبالسيدِ الصَّمَدْ

والعرب تُسَمِّي أشرافها بالصمد؛ لاجتماع قصد القاصدين إليه، واجتماع صفات السيادة فيه.

([٢]) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ٩١، برقم ٣٥٢٥، وأحمد في المسند، ٤/ ١٧٧، والحاكم في المستدرك، ١/ ٤٩٩، وقال: ((صحيح الإسناد)). ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في الصحيحة، برقم ١٥٣٦، وفي صحيح الجامع، برقم ١١٥٨.

([٣]) أخرجه أبو داود في كتاب الوتر، باب الدعاء، برقم ١٤٩٥، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ٩٩، برقم ٣٥٤٤، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، برقم ٣٨٥٨، والنسائي في كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر، برقم ١٢٩٨، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ١٤٩٥.

السادس : صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر، وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو: الغني الحميد، العفو القدير، الحميد المجيد. وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن؛ فإن الغنى صفة كمال، والحمد كذلك، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر فله ثناء من غناه، وثناء من حمده، وثناء من اجتماعهما، وكذلك العفوّ القدير، والحميد المجيد، والعزيز الحكيم، فتأمله فإنه من أشرف المعارف. وأما صفات السلب المحض فلا تدخل في أوصافه تعالى إلا أن تكون متضمنة لثبوت: كالأحد المتضمن لانفراده بالربوبية والإلهية، والسلام المتضمن لبراءته من كل نقص يضاد كماله، وكذلك الإخبار عنه بالسلوب هو لتضمنها ثبوتاً كقوله تعالى: «**لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ** »([٤])، فإنه متضمن لكمال حياته وقيّوميته، وكذلك قوله تعالى: « **وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ**» ([٥])، متضمن لكمال قدرته،وكذلك قوله: «**وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ**» ([٦]) متضمن لكمال علمه،وكذلك قوله: «**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** » ([٧])، متضمن لكمال صَمَدِيَّتِهِ وغناه،وكذلك قوله: « **وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**» ([٨])، متضمن لتفرُّده بكماله، وأنه لا نظير له.

وكذلك قوله تعالى: « **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**» ([٩]) متضمن لعظمته، وأنه جل عن أن يدرك بحيث يحاط به، وهذا مطّرد في كل ما وصف به نفسه من السلوب([١٠]).

([٤]) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥ .

([٥]) سورة ق، الآية: ٣٨ .

([٦]) سورة يونس، الآية: ٦١ .

([٧]) سورة الإخلاص، الآية: ٣ .

([٨]) سورة الإخلاص، الآية: ٤ .

([٩]) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣ .

([١٠]) بدائع الفوائد، ١/ ١٥٩-١٦١، ثم قال: يجب أن يعلم هنا أمور، وذكر عشرين فائدة تكتب بماء الذهب فارجع إليها في ١/ ١٥٩-١٧٠ .

دلالة الأسماء الحُسنى ثلاثة أنواع

أسماء الله كلها حُسنى، وكلها تدل على الكمال المطلق والحمد المطلق، وكلها مشتقة من أوصافها، فالوصف فيها لا ينافي العلمية، والعلمية لا تنافي الوصف، ودلالتها ثلاثة أنواع:

دلالة مطابقة : إذا فسرنا الاسم بجميع مدلوله.

ودلالة تَضمُّن : إذا فسرناه ببعض مدلوله.

ودلالة التزام إذا استدللنا به على غيره من الأسماء التي يتوقف هذا الاسم عليها. فمثلاً ((**الرحمن**)) دلالته على الرحمة والذات دلالة مطابقة. وعلى أحدهما دلالة تضمن؛ لأنها داخلة في الضمن، ودلالته على الأسماء التي لا توجد الرحمة إلا بثبوتها كالحياة، والعلم، والإدارة، والقدرة، ونحوها دلالة التزام، وهذه الأخيرة تحتاج إلى قوة فكر وتأمل، ويتفاوت فيها أهل العلم، فالطريق إلى معرفتها أنك إذا فهمت اللفظ وما يدل عليه من المعنى وفهمته فهماً جيداً، فَفَكِّر فيما يتوقف عليه ولا يتم بدونه. وهذه القاعدة تنفعك في جميع النصوص الشرعية، فدلالاتها الثلاث كلها حجة لأنها معصومة محكمة(١).

([١]) توضيح الكافية الشافية، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، ص١٣٢

حقيقة الإلحاد في أسماء الله تعالى

وحقيقة الإلحاد فيها هو الميل بها عن الاستقامة: إما بإثبات المشاركة فيها لأحدٍ من الخلق، كإلحاد المشركين الذين اشتقوا لآلهتهم من صفات الله ما لا يصلح إلا لله، كتسميتهم اللات من الإله، والعزى من العزيز، ومناة من المنَّان، وكل مشرك تعلق بمخلوق اشتق لمعبوده من خصائص الربوبية والإلهية ما برَّر له عبادته. وأعظم الخلق إلحاداً طائفة الاتحادية الذين من قولهم: إن الرب عين المربوب، فكل اسم ممدوح أو مذموم يطلق على الله عندهم، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً. وإما أن يكون الإلحاد بنفي صفات الله وإثبات أسماء لا حقيقة لها، كما فعل الجهمية ومن تفرع عنهم، وإما بجحدها وإنكارها رأساً إنكاراً لوجود الله، كما فعل زنادقة الفلاسفة، فهؤلاء الملحدون قد انحرفوا عن الصراط المستقيم ويمموا طرق الجحيم([١]).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: قال تعالى: « **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**» ([٢])، والإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها، وهو مأخوذ من الميل كما تدل عليه مادته (ل ح د)، فمنه اللحد وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط، ومنه الْـمُلحِد في الدين المائل عن الحق إلى الباطل. قال ابن السِّكِّيت: الملحد المائل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه. ومنه الملتحد وهو مفتعل من ذلك. وقوله تعالى: « **وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا** » ([٣]) أي من تعدل إليه وتهرب إليه وتلتجئ إليه وتبتهل إليه فتميل إليه عن غيره. تقول العرب: التحد فلان إلى فلان إذا عدل إليه. إذا عُرِفَ هذا فالإلحاد في أسمائه تعالى أنواع:

أحدها: أن تُسمَّى الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإله، والعزى من العزيز. وتسميتهم الصنم إلهاً، وهذا إلحاد حقيقة؛ فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

([١]) المرجع السابق، ص٣٣ .

([٢]) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠ .

([٣]) سورة الكهف، الآية: ٢٧ .

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أباً، وتسمية الفلاسفة له موجباً بذاته، أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك.

ثالثها: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص، كقول أخبث اليهود: إنه فقير. وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه. وقولهم:]يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ[([٤])، وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته.

ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها،كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم:إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني فيطلقون عليه اسم السميع،والبصير،والحي،والرحيم ،والمتكلم،والمريد، ويقولون: لا حياة له، ولا سمع له، ولا بصر له، ولا كلام، ولا إرادة تقوم به وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً، وشرعاً، ولغة، وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين؛ فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها، فكلاهما ملحد في أسمائه، ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد، فمنهم الغالي والمتوسط والمنكوب. وكل من جحد شيئاً مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فقد ألحد في ذلك فليستقلّ أو ليستكثر.

وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالى الله عما يقول المشبهون علواً كبيراً. فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة، فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه، وبرَّأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ولم يجحدوا صفاته، ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظاً ولا معنىً؛ بل أثبتوا له الأسماء والصفات ونفوا عنه مشابهة المخلوقات فكان إثباتهم بريئاً من التشبيه، وتنزيههم خالياً من التعطيل، لا كمن شبّه حتى كأنه يعبد صنماً، أو عطَّل حتى كأنه لا يعبد إلا عدماً.

([٤]) سورة المائدة، الآية: ٦٤ .

وأهل السنة وسط في النِّحل، كما أن أهل الإسلام وسط في الملل، توقد مصابيح معارفهم من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يُضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء. فنسأل الله تعالى أن يهدينا لنوره، ويُسَهِّل لنا السبيل إلى الوصول إلى مرضاته ومتابعة رسوله، إنه قريب مجيب([٥]).

([٥]) بدائع الفوائد، لابن القيم رحمه الله تعالى بتصرف يسير جداً، ١/ ١٦٩-١٧٠، وقد ذكر رحمه الله عشرين فائدة في أسماء الله الحُسنى قال في نهايتها: ((فهذه عشرون فائدة مضافة إلى القاعدة التي بدأنا بها في أقسام ما يوصف به الرب تبارك وتعالى، فعليك بمعرفتها ومراعاتها، ثم اشرح الأسماء الحسنى إن وجدت قلباً عاقلاً، ولساناً قائلاً، ومحلاً قابلاً، وإلا فالسكوت أولى بك، فجناب الربوبية أجلّ وأعزّ مما يخطر بالبال، أو يعبر عنه المقال] وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ [حتى ينتهي العلم إلى من أحاط بكل شيء علماً. وعسى الله أن يعين بفضله على تعليق شرح الأسماء الحُسنى مراعياً فيه أحكام هذه القواعد، بريئاً من الإلحاد في أسمائه وتعطيل صفاته، فهو المنان بفضله والله ذو الفضل العظيم)). وانظر: بدائع الفوائد، ١/ ١٥٩-١٧٠.

إحصاء الأسماء الحُسنى أصلٌ للعلم

إحصاء الأسماء الحُسنى والعلم بها أصلٌ للعلم بكل معلوم، فإن المعلومات سواه إما أن تكون خلقاً له تعالى أو أمراً. إما علم بما كوّنه أو علم بما شرعه، ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى، وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه، فالأمر كله مصدره عن أسمائه الحسنى، وهذا كله حسن لا يخرج عن مصالح العباد، والرأفة، والرحمة بهم، والإحسان إليهم بتكميلهم بما أمرهم به ونهاهم عنه، فأمره كله مصلحة، وحكمة، ورحمة، ولُطف، وإحسان؛ إذ مصدره أسماؤه الحسنى، وفعله كله لا يخرج عن العدل، والحكمة، والمصلحة، والرحمة، إذ مصدره أسماؤه الحسنى فلا تفاوت في خلقه، ولا عبث، ولم يخلق خلقه باطلاً، ولا سُدىً، ولا عبثاً.

وكما أن كل موجود سواه فبإيجاده، فوجود من سواه تابع لوجوده تبع المفعول المخلوق لخالقه، فكذلك العلم بها أصل للعلم بكل ما سواه فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم، فمن أحصى أسماءه كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم؛ إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كل معلوم؛ لأن المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها، وتأمل صدور الخلق والأمر عن علمه وحكمته تعالى؛ ولهذا لا تجد فيها خللاً ولا تفاوتاً؛ لأن الخلل الواقع فيما يأمر به العبد أو يفعله إما أن يكون لجهله به أو لعدم حكمته. وأما الرب تعالى فهو العليم الحكيم، فلا يلحق فعله ولا أمره خلل، ولا تفاوت، ولا تناقض([١]).

([١]) بدائع الفوائد لابن القيم، ١/ ١٦٣ .

أسماء الله كلها حُسنى

أسماء الله كلها حُسنى، ليس فيها اسم غير ذلك أصلاً، وقد تقدم أن من أسمائه ما يطلق عليه باعتبار الفعل نحو الخالق، والرازق، والمحيي، والمميت، وهذا يدل على أن أفعاله كلها خيرات محض لا شر فيها، لأنه لو فعل الشر لاشتقّ له منه اسم، ولم تكن أسماؤه كلها حُسنى، وهذا باطل، فالشر ليس إليه، فكما لا يدخل في صفاته ولا يلحق ذاته، ولا يدخل في أفعاله، فالشر ليس إليه، لا يُضاف إليه فعلاً ولا وصفاً، وإنما يدخل في مفعولاته. وفرق بين الفعل والمفعول، فالشر قائم بمفعوله المباين له، لا بفعله الذي هو فعله، فتأملْ هذا فإنه خَفِيَ على كثير من المتكلمين وزلَّت فيه أقدامٌ، وضلَّت فيه أفهامٌ، وهدى الله أهل الحق لما اختلفوا فيه بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم([١]).

([١]) بدائع الفوائد لابن القيم، ١/ ١٦٣ .

أسماء الله تعالى منها ما يطلق عليه مفرداً ومقترناً بغيره

أسماء الله تعالى منها ما يطلق عليه مفرداً ومقترناً بغيره ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده بل مقروناً بمقابله

إن أسماءه تعالى منها ما يطلق عليه مفرداً ومقترناً بغيره وهو غالب الأسماء. فالقدير، والسميع، والبصير، والعزيز، والحكيم، وهذا يسوغ أن يُدعَى به مفرداً ومقترناً بغيره، فتقول: يا عزيزُ يا حليمُ، يا غفورُ يا رحيمُ، وأن يفرد كل اسم وكذلك في الثناء عليه والخبر عنه بما يسوغ لك الإفراد والجمع.

ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده بل مقروناً بمقابله كالمانع، والضار، والمنتقم، فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله فإنه مقرون بالمُعطي، والنافع، والعفوّ، فهو المعطي المانع، الضارُّ النافعُ، المنتقمُ العفوّ، المعزّ المذلّ، لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بما يقابله؛ لأنه يراد به أنه المنفرد بالربوبية، وتدبير الخلق، والتصرف فيهم عطاءً، ومنعاً، ونفعاً، وضراً، وعفواً، وانتقاماً. وأما أن يثنى عليه بمجرد المنع، والانتقام، والإضرار، فلا يسوغ.

فهذه الأسماء المزدوجة تُجرى الأسماء منها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض، فهي وإن تعدّدت جارية مجرى الاسم الواحد؛ ولذلك لم تجئ مفردة ولم تطلق عليه إلا مقترنة، فاعلمه ((فلو قلت)) يا مُذلُ، يا ضارُّ، يا مانعُ، وأخبرت بذلك لم تكن مثنياً عليه ولا حامداً له حتى تذكر مقابلها([١]).

([١]) بدائع الفوائد، لابن القيم رحمه الله تعالى، ١/ ١٦٧ .

من أسماء الله الحُسنى ما يكون دالاً على عدة صفات

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: من أسمائه الحُسنى ما يكون دالاً على عدة صفات. ويكون ذلك الاسم متناولاً لجميعها تناول الاسم الدال على الصفة الواحدة لها... كاسمه العظيم، والمجيد، والصمد، كما قال ابن عباس فيما رواه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره: الصمد السيد الذي قد كَمُلَ في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع شرفه وسؤدده وهو الله سبحانه. وهذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفواً أحد، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار. هذا لفظه. وهذا مما خَفِيَ على كثير ممن تعاطَى الكلام في تفسير الأسماء الحسنى، ففسَّر الاسم بدون معناه، ونقصه من حيث لا يعلم، فمن لم يُحط بهذا علماً بخس الاسم الأعظم حقه وهضمه معناه فتدبره([١]).

([١]) بدائع الفوائد، للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، ١/ ١٦٨، نشر مكتبة الرياض الحديثة، بتصرف يسير جداً.

الأسماء الحُسنى التي ترجع إليها جميع الأسماء والصفات

أقال ابن القيم رحمه الله تعالى في تفسير سورة الفاتحة: اعلم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال، وتضمنتها أكمل تضمن، فاشتملت على التعريف بالمعبود - تبارك وتعالى - بثلاثة أسماء مرجع الأسماء الحسنى، والصفات العليا إليها، ومدارها عليها وهي: الله ، والرَّب ، والرَّحمنُ.

وبُنيت السورة على الإلهية، والربوبية، والرحمة، فـ « إِيَّاكَ نَعْبُدُ» مبني على الإلهية، و « إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» على الربوبية، وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم بصفة الرحمة. والحمد يتضمن الأمور الثلاثة: فهو المحمود في إلهيته، وربوبيته، ورحمته، والثناء والمجد كمالان لجده... وتضمنت - يعني سورة الفاتحة - إثبات النبوات من جهات عديدة:

١ - كون الله ((رب العالمين)). فلا يليق به أن يترك عباده سُدى هَمَلاً لا يُعرِّفَهم ما ينفعهم في معاشهم، ومعادهم، وما يضرهم فيهما فهذا هَضْمٌ للربوبية، ونسبة الرب تعالى إلى ما لا يليق به، وما قدره حق قدره من نسبة إليه.

٢ - من اسم ((الله)) وهو المألوه المعبود ولا سبيل للعباد إلى معرفة عبادته إلا من طريق رسله عليهم الصلاة والسلام.

٣ - من اسمه ((الرحمن)) فإن رحمته تمنع إهمال عباده، وعدم تعريفهم ما ينالون به غاية كمالهم. فمن أعْطى اسم ((الرحمن)) حقه عرف أنه متضمن لإرسال الرسل، وإنزال الكتب، أعظم من تضمنه إنزال الغيث، وإنبات الكلأ، وإخراج الحب، فاقتضاء الرحمة لما تحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضائها لما تحصل به حياة الأبدان والأشباح، لكن المحجوبون إنما أدركوا من هذا الاسم حظّ البهائم والدواب. وأدرك منه أُولُو الألباب أمراً وراء ذلك...([١]).

واشتملت سورة الفاتحة على أنواع التوحيد الثلاثة التي اتفقت عليها الرسل صلوات الله وسلامه

([١]) مدارج السالكين، ١/ ٨، وذكر بعد ذلك رحمه الله تعالى جهات عديدة لتضمن سورة الفاتحة لإثبات النبوات ولكني أقتصر على ما يختص بالأسماء الحُسنى.

عليهم. وهي:

١ – التوحيد العلمي – سُمِّي بذلك لتعلقه بالأخبار والمعرفة – ويسمى أيضاً بـ((توحيد الأسماء والصفات)).

٢ – التوحيد القصدي الإرادي – سُمِّيَ بذلك لتعلقه بالقصد والإرادة – وهذا الثاني نوعان: توحيد في الربوبية، وتوحيد في الإلهية فهذه ثلاثة أنواع.

فأما التوحيد العلمي [توحيد الأسماء والصفات] فمداره على إثبات صفات الكمال، وعلى نفي التشبيه، والمثال، والتنزيه عن العيوب والنقائص، وقد دل على هذا شيئان:

أ – مجمل. ب – مفصل.

أ – أما المجمل فإثبات الحمد لله سبحانه.

ب – وأما المفصل فذكر صفة ((الإلهية، والربوبية، والرحمة، والملك)) وعلى هذه الأربعة مدار الأسماء والصفات.

* فأما تضمن الحمد لذلك فإن الحمد يتضمن مدح المحمود بصفات كماله، ونعوت جلاله، مع محبته والرضا عنه، والخضوع له. فلا يكون حامداً من جحد صفات المحمود، ولا من أعرض عن محبته والخضوع له، وكلما كانت صفات المحمود أكثر كان حمده أكمل، وكلما نقص من صفات كماله نقص من حمده بحسبها.

ولهذا كان الحمد كله لله حمداً لا يحصيه سواه لكمال صفاته وكثرتها؛ ولأجل هذا لا يُحصي أحدٌ من خلقه ثناءً عليه لما له من صفات الكمال ونعوت الجلال التي لا يحصيها سواه. كما قال صلى الله عليه وسلم: ((اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك))([٢])..فهذه دلالة على توحيد الأسماء والصفات.

* وأما دلالة الأسماء الخمسة عليها ((أي على الأسماء والصفات)) وهي: ((الله، والرب، والرحمن، والرحيم، والملك)) فمبني على أصلين:

([٢]) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم ٤٨٦.

الأصل الأول: أسماء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كماله فهي مشتقة من الصفات. فهي أسماء وهي أوصاف، وبذلك كانت حُسنى؛ إذْ لو كانت ألفاظاً لا معاني فيها لم تكن حُسنى، ولا كانت دالةً على مدح ولا كمال، ولساغ وقوع أسماء الانتقام، والغضب في مقام الرحمة والإحسان، وبالعكس فيقال: اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر إنك أنت المنتقم. واللهم أعطني فإنك أنت الضار المانع، ونحو ذلك، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ونفي معاني الأسماء الحُسنى من أعظم الإلحاد فيها قال تعالى: «**وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**» ([٣])؛ ولأنها لو لم تدل على معانٍ وأوصاف لم يجز أن يخبر عنها بمصادرها ويوصف بها. لكن الله أخبر عن نفسه بمصادرها وأثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم. كقوله تعالى: «**إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** »([٤])، فعُلِم أن ((**القوي**)) من أسمائه ومعناه الموصوف بالقوة. وكذلك قوله تعالى: « **فَلله الْعِزَّةُ جَمِيعًا** » ([٥])، فالعزيز من له العزة، فلولا ثبوت القوة والعزة لم يُسمَّ قوياً، ولا عزيزاً، وكذلك قوله تعالى: « **أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ**» ([٦])... وأجمع المسلمون أنه لو حلف بحياة الله، أوسمعه، أو بصره، أو قوته أو عزته، أو عظمته انعقدت يمينه وكانت مكفرة؛ لأن هذه صفات كماله التي اشتقَّتْ منها أسماؤه.

وأيضاً لو لم تكن أسماؤه مشتملة على معانٍ وصفات لم يسُغ أن يخبر عنه بأفعالها. فلا يقال: يسمع، ويرى، ويعلم، ويقدر، ويريد؛ فإن ثبوت أحكام الصفات فرع ثبوتها، فإذا انتفى أصل الصفة استحال ثبوت حكمها... فنفي معاني أسمائه سبحانه من أعظم الإلحاد فيها، والإلحاد فيها أنواع هذا أحدها.

الأصل الثاني: الاسم من أسمائه تبارك وتعالى كما يدلّ على الذات والصفة التي اشتقّ منها بالمطابقة؛ فإنّه يدلّ عليه دلالتين أُخرَيَيْن بالتضمن واللزوم.

فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن، وكذلك على الذات المجردة عن الصفة، ويدل على الصفة الأُخرى باللزوم.

([٣]) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠ .

([٤]) سورة الذاريات، الآية: ٥٨ .

([٥]) سورة فاطر، الآية: ١٠ .

([٦]) سورة النساء، الآية: ١٦٦ .

فإن اسم ((**السميع**)) يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابقة. وعلى الذات وحدها وعلى السمع وحده بالتضمن، ويدل على اسم ((**الحي**)) وصفة الحياة بالالتزام. وكذلك سائر أسمائه وصفاته، ولكن يتفاوت الناس في معرفة اللزوم وعدمه..

* إذا تقرر هذان الأصلان فاسم ((**الله**)) دالٌّ على جميع الأسماء الحُسنى والصفات العُلا بالدلالات الثلاث ((**المطابقة، والتضمن، واللزوم**)).

فإنه دال على إلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له، مع نفي أضدادها عنه. وصفات الإلهية – يعني أن الله الإله الحق وحده لا شريك له – هي صفات الكمال المنزهة عن التشبيه والتمثيل، وعن العيوب والنقائص، ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحُسنى إلى هذا الاسم العظيم، كقوله تعالى: « **وَلله الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** » ويقال: ((**الرحمن، والرحيم، والقدوس، والسلام، والعزيز، والحكيم**)) من أسماء الله ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، ولا من أسماء العزيز. ونحو ذلك.

فعُلِمَ أن اسمه ((**الله**)) مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دالٌّ عليها بالإجمال، والأسماء الحُسنى تفصيل، وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم ((**الله**))، واسم ((**الله**)) دالٌّ على كونه مألوهاً معبوداً، تألَّهَهُ الخلائق محبةً، وتعظيماً، خضوعاً وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمنين لكمال الملك والحمد. وإلهيته وربوبيته، ورحمانيته، وملكه، مستلزم لجميع صفات كماله. إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي، ولا سميع، ولا بصير، ولا قادر، ولا متكلم، ولا فعَّالٍ لما يريد، ولا حكيم في أفعاله.

* وصفات الجلال والجمال: أخص باسم ((**الله**)).

* وصفات الفعل، والقدرة، والتفرّد بالضرّ والنفع، والعطاء والمنع، ونفوذ المشيئة، وكمال القوة، وتدبير أمر الخليقة أخص باسم ((**الربّ**)).

* وصفات الإحسان، والجود، والبرّ، والحنّان، والمنّة، والرأفة، واللّطف، أخص باسم ((**الرحمن**)). وكرر إيذاناً بثبوت الوصف، وحصول أثره، وتعلقه بمتعلقاته.

فالرحمن الذي الرحمة وصفه، والرحيم: الراحم لعباده؛ ولهذا يقول تعالى: «**وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا**»([٧])،ولم يجئ رحمان بعباده ولا رحمان بالمؤمنين،مع ما في اسم ((**الرحمن**)) الذي هو على وزن فعلان من سعة هذا الوصف،وثبوت جميع معناه الموصوف به...فبناء فعلان للسعة والشمول.

ولهذا يقرن استواءه على العرش بهذا الاسم كثيراً كقوله تعالى: «**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**»([٨])؛لأن العرش محيط بالمخلوقات قد وسعها والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم كما قال تعالى: »**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**« ([٩])،وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده موضوع على العرش: ((إن رحمتي تغلب غضبي))،وفي لفظ:((فهو عنده على العرش))**([١٠]).

فتأملْ اختصاص هذا الكتاب بذكر الرحمة، ووضعه عنده على العرش،وطابقْ بين ذلك وبين قوله تعالى:]**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**[، وقوله: «**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا**» ([١١]) ينفتح لك باب عظيم من معرفة الرب تبارك وتعالى إن لم يغلقه عنك التعطيل والتجهيم.

* وصفات العدل، والقبض والبسط، والخفض والرفع، والعطاء والمنع، والإعزاز والإذلال، والقهر والحكم، ونحوها أخص باسم ((**المَلِك**)) وخصّه بيوم الدين وهو الجزاء بالعدل؛ لتفرده بالحكم فيه وحده؛ ولأنه اليوم الحق، وما قبله كساعة؛ ولأنه الغاية وأيام الدنيا مراحل إليه.

([٧]) سورة الأحزاب، الآية: ٤٣ .

([٨]) سورة طه، الآية: ٥ .

([٩]) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦ .

([١٠]) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى:]وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ[، برقم ٣١٩٤، ومسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، برقم ٢٧٥١.

([١١]) سورة الفرقان، الآية: ٥٩ .

وفي ذكر هذه الأسماء بعد الحمد في قوله تعالى: « الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» ([١٢])، وإيقاع الحمد على مضمونها ومقتضاها ما يدل على أنه محمود في إلهيته، محمود في ربوبيته، محمود في رحمانيته، محمود في ملكه، وأنه إله محمود، ورب محمود، ومِلك محمود. فله بذلك جميع أقسام الكمال:

كمال من هذا الاسم بمفرده، وكمال من الآخر بمفرده، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر.مثال ذلك قوله تعالى: «وَالله غَنِيٌّ حَمِيدٌ » ([١٣])، « وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ »([١٤])، « وَالله قَدِيرٌ وَالله غَفُورٌ رَّحِيمٌ» ([١٥])، فالغنى صفة كمال والحمد صفة كمال، واقتران غناه بحمده كمال أيضاً، وعلمه كمال، وحكمته كمال، واقتران العلم بالحكمة كمال أيضاً.

وقدرته كمال، ومغفرته كمال، واقتران القدرة بالمغفرة كمال، وكذلك العفو بعد القدرة: «إِنَّ الله كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا» ([١٦]).

فما كل من قدر عفا، ولا كل من عفا يعفو عن قدرة، ولا كل من علم يكون حليماً، ولا كل حليم عالم في قرن شيء إلى شيءٍ أزين من حلم إلى علم، ومن عفو إلى قدرة، ومن ملك إلى حمد، ومن عزة إلى رحمة: »وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» ([١٧]).

وفي هذا أظهر دلالة على أن أسماء الرب تعالى مشتقة من أوصاف ومعانٍ قامت به، وإن كل اسم يناسب ما ذكر معه واقترن به من فعله وأمره، والله الموفق للصواب([١٨]).

([١٢]) سورة الفاتحة، الآيات: ١-٣ .

([١٣]) سورة التغابن، الآية: ٦ .

([١٤]) سورة النساء، الآية: ٢٦ .

([١٥]) سورة الممتحنة، الآية: ٧ .

([١٦]) سورة النساء، الآية: ٤٣ .

([١٧]) سورة الشعراء، الآية: ١٩١ .

([١٨]) مدارج السالكين، لابن القيم رحمه الله تعالى، ١/ ٢٤ – ٣٧ بتصرف.

إذا قال السائل: ((**اللهم إني أسألك**)) كأنه قال: أدعو الله الذي له الأسماء الحسنى والصفات العُلا بأسمائه وصفاته. فأتى بالميم المؤذنة بالجمع في آخر هذا الاسم، إيذاناً بسؤاله تعالى بأسمائه كلها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: ((**ما أصاب عبداً همٌّ ولا حزنٌ، فقال: اللهمّ إني عبدك ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حُزني، وذهاب همّي وغمّي، إلا أذهب الله همّه وغمّه، وأبدله مكانه فرحاً**)) قالوا: يا رسول الله أفلا نتعلمهنّ؟ قال:((**بلى،ينبغي لمن سمعهنّ أن يتعلمهنّ**))([١٩]).

فالداعي مندوب إلى أن يسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته كما في الاسم الأعظم:((**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنّان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قيوم**))([٢٠]).

والدعاء ثلاثة أقسام:

١- أن تسأل الله بأسمائه وصفاته.

٢- أن تسأله بحاجتك وفقرك وذُلِّك فتقول: أنا العبد الفقير المسكين الذليل المستجير، ونحو ذلك.

٣- أن تسأل حاجتك ولا تذكر واحداً من الأمرين، فالأول أكمل من الثاني، والثاني أكمل من الثالث، فإذا جمع الدعاء الأمور الثلاثة كان أكمل. وهذه عامة أدعية النبي صلى الله عليه وسلم.

([١٩]) أخرجه أحمد، ١/ ٣٩١، وأبو يعلى، ٩/ ١٩٨-١٩٩، برقم ٥٢٩٧، والحاكم، ١/ ٥٠٩-٥١٠، وابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم ٣٣٩، ٣٤٠، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ١/ ٣٣٧.

([٢٠]) أخرجه أبو داود في كتاب الوتر، باب الدعاء، برقم ١٤٩٥، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ٩٩، برقم ٣٥٤٤، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، برقم ٣٨٥٨، والنسائي في كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر، برقم ١٢٩٨، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ١٤٩٥.

فالدعاء الذي علّمه صدِّيق الأمة t ذكر الأقسام الثلاثة:

١ – فإنه قال في أوله: ((**اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً**))([٢١])، وهذا حال السائل.

٢ – ثم قال: ((**ولا يغفر الذنوب إلا أنت**))، وهذا حال المسؤول.

٣ – ثم قال: ((**فاغفر لي**)) فذكر حاجته، وختم الدعاء باسمين من الأسماء الحُسنى تناسب المطلوب وتقتضيه، ثم قال ابن القيم رحمه الله: وهذا القول الذي اخترناه قد جاء عن غير واحد من السلف. قال الحسن البصري:((**اللهم**)) مجمع الدعاء،وقال أبو رجاء العطاردي:إن الميم في قوله:((**اللهم**)) فيها تسعة وتسعون اسماً من أسماء الله تعالى.وقال النضر بن شميل: من قال: ((**اللهم**)) فقد دعا الله بجميع أسمائه([٢٢]).

([٢١]) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، برقم ٨٣٤، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم ٢٧٠٥.

([٢٢]) التفسير القيم لابن القيم، ص٢١٠-٢١١ بتصرف يسير جداً.

أسماء الله وصفاته مختصة به، واتفاق الأسماء لا يوجب تماثل المسميات

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: ((سمّى الله نفسه بأسماء، وسمّى صفاته بأسماء، فكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه، لا يشركه فيها غيره، وسمّى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص، ولم يلزم من اتفاق الاسمين تماثل مسماهما واتحاده عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص، لا اتفاقهما، ولا تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص، فضلاً عن أن يتحد مسماهما عند الإضافة والتخصيص.

فقد سمَّى الله نفسه حيّا، فقال: « **اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْـحَيُّ الْقَيُّومُ**»([١])، وسمَّى بعض عباده حيّاً، فقال: «**يُخْرِجُ الْـحَيَّ مِنَ الْـمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْـمَيِّتَ مِنَ الْـحَيِّ**»([٢])، وليس هذا الحيّ مثل هذا الحيّ؛ لأن قوله ((الحيّ)) اسم الله مختص به، وقوله: «**يُخْرِجُ الْـحَيَّ مِنَ الْـمَيِّتِ**» اسم للحي المخلوق مختص به، وإنما يتفقان إذا أُطلقا وجُرِّدا عن التخصيص، ولكن ليس للمطلق مسمَّى موجود في الخارج، ولكن العقل يفهم من المطلق قدراً مشتركاً بين المسميين، وعند الاختصاص يقيد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق، والمخلوق عن الخالق.

ولابدّ من هذا في جميع أسماء الله وصفاته، يُفهم منها ما دلّ عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق، وما دلّ عليه بالإضافة والاختصاص المانعة من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه I.

وكذلك سمَّى الله نفسه عليماً حليماً، وسمّى بعض عباده عليماً، فقال: «**وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ**» ([٣])، يعني إسحاق وسمّى آخر حليماً، فقال:

«**فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ**» ([٤])، يعني إسماعيل، وليس العليم كالعليم، ولا الحليم كالحليم.

([١]) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥ .

([٢]) سورة الروم، الآية: ١٩ .

([٣]) سورة الذاريات الآية ٢٨.

([٤]) سورة الصافات، الآية: ١٠١ .

وسمَّى نفسه سميعاً بصيراً، فقال: «إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا» ([٥])، وسمّى بعض خلقه سميعاً بصيراً فقال:

«إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا» ([٦])، وليس السميع كالسميع، ولَا البصير كالبصير.

وسمَّى نفسه بالرؤوف الرحيم،فقال: «إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ» ([٧])، وسمّى بعض عباده بالرؤوف الرحيم، فقال: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ» ([٨])، وليس الرؤوف كالرؤوف، ولا الرحيم كالرحيم.

وسمَّى نفسه بالملك، فقال: «الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ» ([٩])، وسمّى بعض عباده بالملك، فقال: «وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا»([١٠])،

«وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ» ([١١])، وليس الملك كالملك.

وسمَّى نفسه بالمؤمن، فقال: «الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ» ([١٢])، وسمى بعض عباده بالمؤمن، فقال: «أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ» ([١٣])، وليس المؤمن كالمؤمن.

وسمَّى نفسه بالعزيز، فقال: « الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ» ([١٤])، وسمّى بعض عباده بالعزيز،فقال: «قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ» ([١٥])،وليس العزيز كالعزيز.

([٥]) سورة النساء، الآية: ٥٨ .

([٦]) سورة الإنسان، الآية: ٢ .

([٧]) سورة البقرة، الآية: ١٤٣ .

([٨]) سورة التوبة، الآية: ١٢٨ .

([٩]) سورة الحشر، الآية: ٢٣ .

([١٠]) سورة الكهف، الآية: ٧٩ .

([١١]) سورة يوسف، الآية: ٥٠ .

([١٢]) سورة الحشر، الآية: ٢٣ .

([١٣]) سورة السجدة، الآية: ١٨ .

([١٤]) سورة الحشر، الآية: ٢٣ .

([١٥]) سورة يوسف، الآية: ٥١ .

وسمَّى نفسه الجبار المتكبر، وسمى بعض خلقه بالجبار المتكبر، فقال: «كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ» ([١٦])، وليس الجبار كالجبار، ولا المتكبر كالمتكبر.

ونظائر هذا متعددة.

وكذلك سمَّى صفاته بأسماء، وسمّى صفات عباده بنظير ذلك، فقال: «وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ»([١٧])، وقال: «أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ» ([١٨])، وقال: « إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ »([١٩])، وقال: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً»([٢٠]).

وسمَّى صفة المخلوق علماً وقوة، فقال: « وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً »([٢١])، وقال: « وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ »([٢٢])، وقال: « فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ» ([٢٣])، وقال: « اللهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ» ([٢٤])، وقال: « وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ» ([٢٥])، وقال: « وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ » ([٢٦])، أي: بقوة، وقال: «وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ»([٢٧]) أي: ذا القوة، وليس العلم كالعلم، ولا القوة كالقوة.

([١٦]) سورة غافر، الآية: ٣٥ .

([١٧]) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥ .

([١٨]) سورة النساء، الآية: ١٦٦ .

([١٩]) سورة الذاريات، الآية: ٥٨ .

([٢٠]) سورة فصلت، الآية: ١٥ .

([٢١]) سورة الإسراء، الآية: ٨٥ .

([٢٢]) سورة يوسف، الآية: ٧٦ .

([٢٣]) سورة غافر، الآية: ٨٣ .

([٢٤]) سورة الروم، الآية: ٥٤ .

([٢٥]) سورة هود، الآية: ٥٢ .

([٢٦]) سورة الذاريات، الآية: ٤٧ .

([٢٧]) سورة ص، الآية: ١٧ .

([٢٨]) سورة التكوير، الآيتان: ٢٨-٢٩ .

وكذلك وصف نفسه بالمشيئة، ووصف عبده بالمشيئة، فقال:]لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاّ أَن يَشَاءَ الله رَبُّ الْعَالَمِينَ [([٢٨]). وقال:]إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً * وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاّ أَن يَشَاءَ الله إِنَّ الله كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا [([٢٩]).

وكذلك وصف نفسه بالإرادة، ووصف عبده بالإرادة، فقال:

]تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَالله يُرِيدُ الآخِرَةَ وَالله عَزِيزٌ حَكِيمٌ [([٣٠]).

ووصف نفسه بالمحبة، [ووصف عبده بالمحبة] فقال:]فَسَوْفَ يَأْتِي الله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ [([٣١])، وقال:]قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله [([٣٢]).

ووصف نفسه بالرضا، ووصف عبده بالرضا، فقال:]رَّضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ [([٣٣]).

ومعلوم أن مشيئة الله ليست مثل مشيئة العبد، ولا إرادته مثل إرادته، ولا محبته مثل محبته، ولا رضاه مثل رضاه.

وكذلك وصف نفسه بأنه يمقت الكفار، ووصفهم بالمقت، فقال:

« **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ الله أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ** »([٣٤])، وليس المقت مثل المقت.

وهكذا وصف نفسه بالمكر والكيد، كما وصف عبده بذلك،فقال:

« **وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ الله**[([٣٥])،وقال:]**إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا** » ([٣٦])، وليس المكر كالمكر، ولا الكيد كالكيد.

([٢٩]) سورة الإنسان، الآيتان: ٢٩-٣٠ .

([٣٠]) سورة الأنفال، الآية: ٦٧ .

([٣١]) سورة المائدة، الآية: ٥٤ .

([٣٢]) سورة آل عمران، الآية: ٣١ .

([٣٣]) سورة المائدة، الآية: ١١٩ .

([٣٤]) سورة غافر، الآية: ١٠ .

([٣٥]) سورة الأنفال، الآية: ٣٠ .

([٣٦]) سورة الطارق، الآيتان: ١٥-١٦ .

ووصف نفسه بالعمل، فقال: « **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ**» ([٣٧])، ووصف عبده بالعمل، فقال: «**جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**» ([٣٨])، وليس العمل كالعمل.

ووصف نفسه بالمناداة والمناجاة، في قوله: «**وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا**» ([٣٩])، وقوله: «**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ**» ([٤٠])، وقوله: «**وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا**» ([٤١])، ووصف عبده بالمناداة والمناجاة، فقال: «**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**» ([٤٢])، وقال: «**إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ**»([٤٣])، وقال: «**إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**»([٤٤])، وليس المناداة كالمناداة، ولا المناجاة كالمناجاة.

ووصف نفسه بالتكليم في قوله: «**وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**»([٤٥])، وقوله: «**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ**»([٤٦])، وقوله: «**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ**» ([٤٧])، ووصف عبده بالتكليم في مثل قوله: «**وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ**» ([٤٨])، وليس التكليم كالتكليم.

([٣٧]) سورة يس، الآية: ٧١ .

([٣٨]) سورة السجدة، الآية: ١٧ .

([٣٩]) سورة مريم، الآية: ٥٢ .

([٤٠]) سورة القصص، الآية: ٦٢ .

([٤١]) سورة الأعراف، الآية: ٢٢ .

([٤٢]) سورة الحجرات، الآية: ٤ .

([٤٣]) سورة المجادلة، الآية: ١٢ .

([٤٤]) سورة المجادلة، الآية: ٩ .

([٤٥]) سورة النساء، الآية: ١٦٤ .

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣ .

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣ .

([٤٨]) سورة يوسف، الآية: ٥٤ .

([٤٩]) سورة التحريم، الآية: ٣ .

ووصف نفسه بالتنبئة، [ووصف بعض الخلق بالتنبئة]، فقال: « وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ» ([٤٩])، وليس الإنباء كالإنباء.

ووصف نفسه بالتعليم، ووصف عبده بالتعليم، فقال: « الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» ([٥٠])، وقال: «تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ»([٥١])، وقال: «لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» ([٥٢])، وليس التعليم كالتعليم.

وهكذا وصف نفسه بالغضب في قوله: «وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ»([٥٣])، ووصف عبده بالغضب في قوله: «وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا»([٥٤])، وليس الغضب كالغضب.

ووصف نفسه بأنه استوى على عرشه، فذكر في سبع آيات([٥٥]) من كتابه أنه استوى على العرش، ووصف بعض خلقه بالاستواء على غيره، في مثل قوله: «لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ]([٥٦])، وقوله: [فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ» ([٥٧])، وقوله: «وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ» ([٥٨])، وليس الاستواء كالاستواء.

([٥٠]) سورة الرحمن، الآيات: ١-٤ .

([٥١]) سورة المائدة، الآية: ٤ .

([٥٢]) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤ .

([٥٣]) سورة الفتح، الآية: ٦ .

([٥٤]) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠ .

([٥٥]) وهذه الآيات هي: ١-] الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى [طه، الآية: ٥. ٢-] ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ [الأعراف، الآية: ٥٤. ٣-] ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ [يونس الآية: ٣. ٤-] ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ [الرعد، الآية: ٢. ٥-]ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ [السجدة، الآية: ٤. ٧-] ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ [الحديد، الآية: ٣.

([٥٦]) سورة الزخرف، الآية: ١٣ .

([٥٧]) سورة المؤمنون، الآية: ٢٨ .

([٥٨]) سورة هود، الآية: ٤٤ .

ووصف نفسه ببسط اليدين، فقال: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ»([٥٩])، ووصف بعض خلقه ببسط اليد، في قوله: «وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ»([٦٠])، وليس اليد كاليد، ولا البسط كالبسط، وإذا كان المراد بالبسط الإعطاء والجود فليس إعطاء الله كإعطاء خلقه، ولا جوده كجودهم. ونظائر هذا كثيرة.

فلابد من إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي مماثلته لخلقه، فمن قال: ليس لله علم، ولا قوة، ولا رحمة، ولا كلام، ولا يحب، ولا يرضى، ولا نادى، ولا ناجى، ولا استوى -كان معطلاً، جاحداً، ممثلاً لله بالمعدومات والجمادات. ومن قال: [له] علم كعلمي، أو قوة كقوتي، أو حب كحبي، أو رضىً كرضاي، أو يدان كيديَّ، أو استواء كاستوائي - كان مشبِّهاً، ممثلاً لله بالحيوانات، بل لابد من إثباتٍ بلا تمثيل، وتنزيهٍ بلا تعطيل([٦١]).

وقد بيَّن الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: ((أن الاسم والصفة من هذا النوع له ثلاثة اعتبارات:

الاعتبار الأول: اعتبار من حيث هو مع قطع النظر عن تقييده بالرب تبارك وتعالى أو العبد.

الاعتبار الثاني: اعتباره مضافاً إلى الرب مختصاً به.

الاعتبار الثالث: اعتباره مضافاً إلى العبد مقيداً به. فما لزم الاسم لذاته وحقيقته كان ثابتاً للرب والعبد، وللرب منه ما يليق بكماله، وللعبد منه ما يليق به. وهذا كاسم السميع الذي يلزم إدراك المسموعات، والبصير الذي يلزمه رؤية المبصرات، والعليم والقدير وسائر الأسماء؛ فإن شرط صحة إطلاقها حصول معانيها وحقائقها للموصوف بها، فما لزم هذه الأسماء لذاتها فإثباته للرب تعالى لا محذور فيه بوجه؛ بل يثبت له على وجه لا يماثل فيه خلقه ولا يشابههم، فمن نفاه عنه لإطلاقه على المخلوق ألحد في أسمائه، وجحد صفات كماله. ومن أثبته له على وجه يماثل فيه خلقه فقد شبَّهه بخلقه، ومن شبَّه الله بخلقه فقد كفر، ومن أثبته له على وجه لا يماثل فيه خلقه؛ بل كما يليق بجلاله وعظمته، فقد برئ من فرث التشبيه ودم التعطيل، وهذا طريق أهل السنة، وما لزم الصفة لإضافتها إلى العبد وجب نفيه عن الله، كما يلزم حياة العبد من النوم والسِّنة والحاجة إلى الغذاء ونحو ذلك. وكذلك ما يلزم إرادته من حركة نفسه في جلب ما ينتفع به ودفع ما يتضرر به.

([٦٠]) سورة الإسراء، الآية: ٢٩ .

([٦١]) التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ص٢١ - ٣٠ .

وكذلك ما يلزم علوّه من احتياجه إلى ما هو عالٍ عليه، وكونه محمولاً به، مفتقراً إليه، محاطاً به. كل هذا يجب نفيه عن القدوس السلام تبارك وتعالى، وما لزم صفة من جهة اختصاصه تعالى بها، فإنه لا يثبت للمخلوق بوجهٍ، كعلمه الذي يلزمه القدم والوجوب والإحاطة بكل معلوم وقدرته وإرادته وسائر صفاته، فإن ما يختصَّ به منها لا يمكن إثباته للمخلوق، فإذا أحطتَ بهذه القاعدة خبراً، وعقلتَها كما ينبغي، خلصتَ من الآفتين اللتين هما أصل بلاء المتكلمين: آفة التعطيل، وآفة التشبيه، فإنكَ إذا وفَّيْتَ هذا المقام حقه من التصور أثبتَّ لله الأسماء الحسنى، والصفات العُلا حقيقة، فخلصتَ من التعطيل، ونفيتَ عنها خصائص المخلوقين ومشابهتهم، فخلصتَ من التشبيه، فتدبّرْ هذا الموضع، واجعلْه جنَّتك التي ترجع إليها في هذا الباب والله الموفق للصواب([٦٢]).

وقال ابن القيم رحمه الله أيضاً: اختلف النظَّار في الأسماء التي تطلق على الله وعلى العباد كالحي، والسميع، والبصير، والعليم، والقدير، والملك ونحوها فقالت طائفة من المتكلمين: هي حقيقة في العبد مجاز في الرب، وهذا قول غلاة الجهمية، وهو أخبث الأقوال وأشدها فساداً. الثاني مقابله وهو أنها حقيقة في الرب مجاز في العبد، وهذا قول أبي العباس الناشى. الثالث أنها حقيقة فيهما، وهذا قول أهل السنة وهو الصواب. واختلاف الحقيقتين فيهما لا يخرجها عن كونها حقيقة فيهما. وللرب تعالى منها ما يليق بجلاله، وللعبد منها ما يليق به([٦٣]).

([٦٢]) بدائع الفوائد، للعلامة ابن القيم رحمه الله، ١/ ١٦٥-١٦٦ بتصرف يسير جداً، وانظر: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم، ٢/ ٣٧، فقد قال: ((إن هذه الألفاظ التي تستعمل في حق المخلوق والخالق لها ثلاثة اعتبارات:

أحدها: أن تكون مقيدة بالخالق: كسمع الله وبصره، ووجهه ويديه واستوائه ونزوله وعلمه وقدرته وحياته. الثاني: أن تكون مقيدة بالمخلوق: كيد الإنسان، ووجهه، واستوائه. الثالث: أن تجرد عن كلا الإضافتين وتوجد مطلقة...

))، ثم شرح ذلك شرحاً جيداً. انظر: مختصر الصواعق، ٢/ ٣٧ .

([٦٣]) بدائع الفوائد، ١/ ١٦٤ ببعض التصرف.

أمور ينبغي أنْ تُعْلَم

الأمر الأول: أن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته كالشيء، والموجود، والقائم بنفسه؛ فإنه يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العلا.

الثاني: أن الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه؛ بل يطلق عليه منها كمالها، وهذا كالمريد، والفاعل، والصانع؛ فإن هذه الألفاظ لا تدخل من أسمائه، ولهذا غلط من سماه بالصانع عند الإطلاق، بل هو الفعال لما يريد، فإن الإرادة والفعل والصنع منقسمة، ولهذا إنما أطلق على نفسه من ذلك أكمله فعلاً وخبراً.

الثالث: أنه لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيداً أن يشتق له منه اسم مطلق، كما غلط فيه بعض المتأخرين فجعل من أسمائه الحسنى المضل، الفاتن، الماكر، تعالى الله عن قوله؛ فإن هذه الأسماء لم يطلق عليه سبحانه منها إلا أفعال مخصوصة معينة، فلا يجوز أن يسمى بأسمائها المطلقة، والله أعلم.

الرابع: أن أسماءه الحسنى هي أعلامٌ وأوصافٌ، والوصف بها لا يُنافي العلمية، بخلاف أوصاف العباد، فإنها تنافي علميتهم؛ لأن أوصافهم مشتركة، فنفتها العلمية المختصة بخلاف أوصافه تعالى.

الخامس: أن أسماءه الحسنى لها اعتباران: اعتبار من حيث الذات، واعتبار من حيث الصفات، فهي بالاعتبار الأول مترادفة، وبالاعتبار الثاني متباينة.

السادس: أن ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفياً كالقديم، والشيء، والموجود، والقائم بنفسه. فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه هل هي توقيفية، أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به السمع.

السابع:أن الاسم إذا أطلق عليه جاز أن يشتق منه المصدر والفعل فيخبر به عنه فعلاً ومصدراً نحو السميع،البصير،القدير،يطلق عليه منه السمع والبصر والقدرة،ويخبر عنه بالأفعال من ذلك نحو

((قَدْ سَمِعَ الله))، ((فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ)) هذا إن كان الفعل متعدياً.فإن كان لازماً لم يخبر عنه به نحو الحي؛بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل،فلا يقال: حيي.

الثامن: أن أفعال الرب تبارك وتعالى صادرة عن أسمائه وصفاته، وأسماء المخلوقين صادرة عن أفعالهم، فالرب تبارك وتعالى فعاله عن كماله. والمخلوق كماله عن فعاله، فاشتقت له الأسماء بعد أن كمل بالفعل. فالرب لم يزل كاملاً، فحصلت أفعاله عن كماله؛ لأنه كامل بذاته وصفاته، فأفعاله صادرة عن كماله كَمُلَ ففعل، والمخلوق فَعَل فكَمُلَ الكمال اللائق به([١]).

التاسع: أن الصفات ثلاثة أنواع: صفات كمال، وصفات نقص، وصفات لا تقتضي كمالاً ولا نقصاً، وإن كانت القسمة التقديرية تقتضي قسماً رابعاً، وهو: ما يكون كمالاً ونقصاً باعتبارين، والرب تعالى منزه عن الأقسام الثلاثة، وموصوف بالقسم الأول، وصفاته كلها صفات كمال محض، فهو موصوف من الصفات بأكملها وله من الكمال أكمله. وهكذا أسماؤه الدالة على صفاته هي أحسن الأسماء وأكملها، فليس في الأسماء أحسن منها، ولا يقوم غيرها مقامها ولا يؤدي معناها، وتفسير الاسم منها بغيره ليس تفسيراً بمرادفٍ محضٍ؛ بل هو على سبيل التقريب والتفهيم. وإذا عرفتَ هذا فله من كل صفة كمال أحسن اسم وأكمله وأتمَّه معنى، وأبعده وأنزهه عن شائبة عيب أو نقص، فله من صفة الإدراكات العليم الخبير دون العاقل الفقيه، والسميع البصير دون السامع والباصر والناظر. ومن صفات الإحسان البر، الرحيم، الودود، دون الشفوق ونحوه. وكذلك العلي العظيم دون الرفيع الشريف. وكذلك الكريم دون السخي، والخالق البارئ المصور دون الفاعل الصانع المشكل، والغفور العفوّ دون الصفوح الساتر. وكذلك سائر أسمائه تعالى يُجري على نفسه منها أكملها وأحسنها، وما لا يقوم غيره مقامه، فتأملْ ذلك، فأسماؤه أحسن الأسماء، كما أن صفاته أكمل الصفات، فلا تعدِلْ عما سمّى به نفسه إلى غيره، كما لا تتجاوزْ ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله إلى ما وصفه به المبطلون والمعطلون([٢]).

([١]) بدائع الفوائد للإمام ابن القيم رحمه الله، ١/ ١٦١-١٦٢ بتصرف يسير.

([٢]) بدائع الفوائد، ١/ ١٦٧-١٦٨ بتصرف يسير جداً.

مراتب إحصاء أسماء الله الحُسنى التي من أحصاها دخل الجنة

هذا بيان مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة، وهذا هو قطب السعادة، ومدار النجاة والفلاح.

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها كما قال تعالى: « **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** » ([١])، وهو مرتبتان.

إحداهما: ثناء وعبادة.

والثاني: دعاء طلب ومسألة، فلا يُثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، وكذلك لا يُسئل إلا بها، فلا يقال: يا موجود، أو يا شيء، أو يا ذات اغفر لي وارحمني؛ بل يُسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضياً لذلك المطلوب، فيكون السائل متوسلاً إليه بذلك الاسم. ومن تأمل أدعية الرسل، ولا سيما خاتمهم وإمامهم، وجدها مطابقة لهذا، وهذه العبارة أولى من عبارة من قال: يتخلق بأسماء الله، فإنها ليست بعبارة سديدة، وهي منتزعة من قول الفلاسفة بالتشبه بالإله قدر الطاقة. وأحسن منها عبارة أبي الحكم بن برهان، وهي التعبد، وأحسن منها العبارة المطابقة للقرآن، وهي الدعاء المتضمن للتعبد والسؤال. فمراتبها أربعة أشدها إنكاراً عبارة الفلاسفة وهي التشبه. وأحسن منها عبارة من قال: التخلق. وأحسن منها عبارة من قال: التعبد. وأحسن من الجميع الدعاء، وهي لفظ القرآن([٢]).

([١]) سورة الأعراف، آية: ١٨٠ .

([٢]) بدائع الفوائد للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، ١/ ١٦٤ .

الأسماء الحسنى لا تُحدُّ بعدد

الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده، لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل كما في الحديث الصحيح: ((**أسألك بكل اسم هو لك سمَّيتَ به نفسك، أو علّمتَه أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**))([١])، فجعل أسماءه ثلاثة أقسام: قسم سمَّى به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم، ولم ينزل به كتابه، وقسم أنزل به كتابه فتعرّف به إلى عباده، وقسم استأثر به في علم غيبه فلم يطَّلِع عليه أحد من خلقه، ولهذا قال: ((**استأثرتَ به**)) أي انفردت بعلمه، وليس المراد انفراده بالتسمِّي به؛ لأن هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزل بها كتابه. ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة: ((**فيفتح عليّ من محامده بما لا أحسنه الآن**))([٢])، وتلك المحامد هي تفي بأسمائه وصفاته.

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : ((**لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**))([٣])، وأما قوله صلى الله عليه وسلم : ((**إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة**))([٤])، فالكلام جملة واحدة. وقوله: ((**من أحصاها دخل الجنة**)) صفة لا خبر مستقبل. والمعنى له أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة. وهذا لا ينفي أن يكون له أسماء غيرها. وهذا كما تقول: لفلان مائة مملوك قد أعدهم للجهاد، فلا ينفي هذا أن يكون له مماليك سواهم معدون لغير الجهاد، وهذا لا خلاف بين العلماء فيه([٥]).

([١]) أخرجه أحمد، ١/ ٣٩١، وأبو يعلى، ٩/ ١٩٨-١٩٩، برقم ٥٢٩٧، والحاكم، ١/ ٥٠٩-٥١٠، وابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم ٣٣٩-٣٤٠، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني. انظر: تخريج الكلم الطيب، ص٧٣ .

([٢]) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم ١٩٣، ١٩٤ .

([٣]) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم ٤٨٦ .

([٤]) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار، برقم ٢٧٣٦، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باقي أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، برقم ٢٦٧٧، وقد شرحه ابن حجر في الفتح، ١١/ ٢١٤-٢٢٨، والحديث في آخره: ((وهو وتر يحب الوتر)).

([٥]) بدائع الفوائد للإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله، ١/ ١٦٦-١٦٧، وانظر أيضاً: فتاوى ابن تيمية، ٦/ ٣٧٩-٣٨٢.

شرح أسماء اللّه الحُسنى _ الأول ، الآخر، الظاهر ، الباطن

١- الأوَّلُ، ٢- الآخِرُ، ٣- الظاهِرُ، ٤- الباطِنُ([١])

قال الله تعالى:]هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ [([٢])، هذه الأسماء الأربعة المباركة قد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم تفسيراً جامعاً واضحاً فقال يخاطب ربه: ((**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخرُ فليس بعدك شيء، وأنت الظاهرُ فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**))([٣]) إلى آخر الحديث،ففسّر كل اسم بمعناه العظيم،ونفى عنه ما يُضاده ويُنافيه.

([١]) جمعت ما يسر الله لي من الأسماء الحسنى، وذكرت لكل اسم دليلاً من الكتاب، أو السنة، ثم عرضت هذه الأسماء كلها على شيخنا عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله، فما أقرّه أثبتّه، وما توقّف عنه أو نفاه أسقطته، حتى اجتمع لي أكثر من مائة اسم بالأدلة الصحيحة، ثم اخترت من هذه الأسماء الحسنى تسعة وتسعين اسماً، وشرحتها شرحاً مختصراً، وقد نقلت الشرح من مصادر أهل التحقيق، والعلماء الراسخين في علم العقيدة: كشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، والعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وغيرهم.

ومن الأسماء التي عرضتها على شيخنا ابن باز رحمه الله فأقرها، ولم أدخلها في هذا الشرح:

المستعان، والمسعِّر، والطيب، والوتر.وقد جاء في بعض الأحاديث أسماء لم أعرضها على شيخنا، ولم يتيسر إدخالها في هذا الشرح، ومنها ما يأتي:١-الجواد؛ لحديث: ((إن الله جواد يحب الجود)) [أخرجه أبو نعيم في الحلية، ٣/ ٢٦٣، و٥/ ٢٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ١/ ٣٩٥، وسلسلة الأحاديث الصحيحة، ٤/ ١٧، برقم ١٦٢٧، وحجاب المرأة المسلمة، ص ١١].

٢- الديَّان؛ لحديث: ((يحشر الناس يوم القيامة حفاةً، عراة، غرلاً... ثم يناديهم بصوت يسمعه من بَعُد، كما يسمعه من قرُب: أنا الملك، أنا الديَّان...)). [أحمد، ٣/ ٤٩٥، والحاكم،

٤/ ٥٧٤، وصححه، ووافقه الذهبي، وابن أبي عاصم في السنة، ١/ ٢٢٥، برقم ٥١٤، والبيهقي في الأسماء والصفات، ١/ ١٣٩- ١٤٠، وقال الألباني في تخريجه لكتاب السنة لابن أبي عاصم: ((صحيح))، وانظر: فتح الباري لابن حجر، ١/ ٢٠٩، و١٣/ ٤٦٥].

* ومعنى الديّان: القهّار. [النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ٢/ ١٤٩].

٣- المحسن؛ لحديث: ((إن الله تعالى محسن يحب المحسنين))، وفي لفظ: ((إن الله محسن يحب الإحسان)). [أخرجه الطبراني في الكبير، ٧/ ٣٣٢، وعبد الرزاق في المصنف، برقم ٨٦٠٣، وذكره الألباني في صحيح الجامع، ١/ ٣٧٤، برقم ١٨١٩، ورقم ١٨٢٠، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١/ ٧٦١، برقم ٤٧٠.

([٢]) سورة الحديد، الآية: ٣ .

([٣]) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، برقم ٢٧١٣.

فتدبّر هذه المعاني الجليلة الدّالة على تفرّد الرب العظيم بالكمال المطلق والإحاطة الزمانية في قوله:((الأوّلُ والآخرُ))،والمكانية في ((الظاهر والباطن)).

((فالأول)) يدلّ على أنّ كل ما سواه حادث كائن بعد أنْ لم يكن،ويوجب للعبد أن يلحظ فضل ربه في كل نعمة دينية أو دنيوية، إذ السبب والمسبب منه تعالى.
((والآخر)) يدل على أنه هو الغاية،والصمد الذي تصمد إليه المخلوقات بتألُّـهها، ورغبتها، ورهبتها، وجميع مطالبها.
((والظاهر)) يدل على عظمة صفاته،واضمحلال كل شيء عند عظمته من ذوات وصفات على علوّه.
((والباطن)) يدلّ على اطّلاعه على السرائر، والضمائر، والخبايا، والخفايا، ودقائق الأشياء،كما يدلّ على كمال قربه ودنوّه. ولا يتنافى الظاهر والباطن؛لأن الله ليس كمثله شيء في كل النعوت([٤]).

([٤]) الحق الواضح المبين، ص٢٥، وشرح النونية للهراس، ٢/ ٦٧ .

العَليُّ، الأعلى، المتعالِ

قال الله تعالى: «وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ» ([١])، وقال تعالى: « سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلى» ([٢])،وقال تعالى: «عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ» ([٣])،وذلك دالّ على أن جميع معاني العلوّ ثابتة لله من كل وجه.

فله علوّ الذات؛ فإنه فوق المخلوقات،وعلى العرش استوى:أي علا، وارتفع.

وله علوّ القدر: وهو علوّ صفاته وعظمتها،فلا يماثله صفة مخلوق،بل لا يقدر الخلائق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته،قال تعالى: «وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْما» ([٤]).وبذلك يُعلم أنه ليس كمثله شيء في كل نعوته.

وله علوّ القهر؛فإنه الواحد القهّار الذي قهر بعزّته وعلوه الخلق كلهم،فنواصيهم بيده،وما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع،وما لم يشأ لم يكنْ،فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم يشأهُ الله لم يقدروا،ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئته لم يمنعوه،وذلك لكمال اقتداره،ونفوذ مشيئته،وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من كل وجه([٥]).

([١]) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥ .

([٢]) سورة الأعلى، الآية: ١ .

([٣]) سورة الرعد، الآية: ١٣ .

([٤]) سورة طه، الآية: ١١٠ .

([٥]) الحق الواضح المبين، ص٢٦، وشرح النونية للهراس، ٢/ ٦٨ .

العظيمُ

قال الله تعالى: «**وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**» ([١]).

الله تعالى عظيم له كل وصف ومعنى يوجب التعظيم، فلا يقدر مخلوق أن يثني عليه كما ينبغي له، ولا يحصي ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يُثني عليه عباده.

واعلم أن معاني التعظيم الثابتة لله وحده نوعان:

النوع الأول: أنه موصوفٌ بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله، وأعظمه، وأوسعه، فله العلم المحيط، والقدرة النافذة، والكبرياء والعظمة، ومن عظمته أن السموات والأرض في كفِّ الرحمن أصغر من الخردلة كما قال ذلك ابن عباس وغيره، وقال تعالى: «**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**»([٢])، وقال تعالى: «**إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ**»([٣]). وقال تعالى: «**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**» ([٤])،

«**تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ**» ([٥]) الآية. وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم: ((**إنَّ الله يقول: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما عذبته**))([٦]) فلله تعالى الكبرياء والعظمة، الوصفان اللذان لا يُقدَّر قدرهما، ولا يُبلغ كنههما.

النوع الثاني من معاني عظمته تعالى أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يُعظّم كما يُعظّم الله، فيستحق جلّ جلاله من عباده أن يعظِّموه بقلوبهم، وألسنتهم، وجوارحهم، وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبته، والذُّلِّ له، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه، وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته.

([١]) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥ .

([٢]) سورة الزمر، الآية: ٦٧ .

([٣]) سورة فاطر، الآية: ٤١ .

([٤]) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥

([٥]) سورة الشورى، الآية: ٥ .

([٦]) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر، برقم ٢٦٢٠.

ومن تعظيمه أن يُتقى حقَّ تقاته، فيُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكَر فلا يُكفَر.
ومن تعظيمه تعظيم ما حرّمه وشرعه من زمان ومكان وأعمال «ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ» ([٧])، وقال تعالى: «ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ»([٨]).
ومن تعظيمه أن لا يُعترض على شيء مما خلقه أو شرعه([٩]).

([٧]) سورة الحج الآية ٣٢.

([٨]) سورة الحج الآية ٣٠.

([٩]) الحق الواضح المبين، ص٢٧-٢٨، وشرح القصيدة النونية للهراس، ٢/ ٦٨، وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، ٢/ ٢١٤.

المجيدُ

((**المجيد**)) الذي له المجد العظيم، والمجد هو عظمة الصفات وسعتها، فكل وصف من أوصافه عظيم شأنه: فهو العليم الكامل في علمه، الرّحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء، الحليم الكامل في حلمه، الحكيم الكامل في حكمته، إلى بقية أسمائه وصفاته([١]) التي بلغت غاية المجد، فليس في شيء منها قصور أو نقصان([٢])، قال الله تعالى: «رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ» ([٣]).

([١]) الحق الواضح المبين، ص٣٣، وشرح النونية للهراس، ٢/ ٧١ .

([٢]) شرح النونية للهراس، ٢/ ٧١ .

([٣]) سورة هود، الآية: ٧٣ .

الكبيرُ

وهو الموصوف بصفات المجد،والكبرياء،والعظمة، والجلال، الذي هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجل وأعلى.

وله التعظيم والإجلال، في قلوب أوليائه وأصفيائه.

قد ملئت قلوبهم من تعظيمه، وإجلاله، والخضوع له، والتذلل لكبريائه([١])، قال الله تعالى: «ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ الله وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لله الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ» ([٢]).

([١]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، ٥/ ٦٢٢.

([٢]) سورة غافر، الآية: ١٢ .

السَّميعُ

قال الله تعالى: «وَكَانَ الله سَمِيعًا بَصِيرًا» ([١])، وكثيراً ما يقرن الله بين صفة السمع والبصر، فكل من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة،والباطنة، فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات،فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرَّها وعلنها وكأنها لديه صوت واحد،لا تختلط عليه الأصوات،ولا تخفى عليه جميع اللغات،والقريب منها والبعيد، والسرّ والعلانية عنده سواء « سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ» ([٢])، « قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى الله وَالله يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ الله سَمِيعٌ بَصِيرٌ» ([٣])، قالت عائشة رضي الله عنها: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشتكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في جانب الحجرة، وإنه ليخفى عليَّ بعض كلامها، فأنزل الله: «قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا» ([٤]) الآية.

وسَمْعُه تعالى نوعان:

النوع الأول: سَمْعُه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفيّة والجلية، وإحاطته التامة بها.

النوع الثاني: سَمْعُ الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيجيبهم ويثيبهم، ومنه قوله تعالى: «إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء» ([٥])، وقول المصلي ((سمع الله لمن حمده)) أي استجاب.

([١]) سورة النساء، الآية: ١٣٤ .

([٢]) سورة الرعد، الآية: ١٠ .

([٣]) سورة المجادلة، الآية: ١ .

([٤]) سورة المجادلة، الآية: ١ .

([٥]) سورة إبراهيم، الآية: ٣٩ .

البصيرُ

الذي أحاط بصره بجميع المُبصِرات في أقطار الأرض والسموات، حتى أخفى ما يكون فيها، فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصّماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة والظاهرة، وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار وعروقها، وجميع النباتات على اختلاف أنواعها وصغرها ودقّتها، ويرى نياط عروق النملة والنحلة والبعوضة وأصغر من ذلك. فسبحان من تحيّرت العقول في عظمته، وسعة متعلقات صفاته، وكمال عظمته، ولطفه، وخبرته بالغيب، والشهادة، والحاضر والغائب، ويرى خيانات الأعين، وتقلبات الأجفان، وحركات الجنان، قال تعالى: « الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» ([١])، «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ» ([٢])، «وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» ([٣])،أي مطّلع ومحيط علمه وبصره وسمعه بجميع الكائنات([٤]).

([١]) سورة الشعراء، الآيات: ٢١٨-٢٢٠ .

([٢]) سورة غافر، الآية: ١٩ .

([٣]) سورة البروج، الآية: ٩ .

([٤]) الحق الواضح المبين، ص٣٤-٣٦، وشرح النونية للهراس، ٢/ ٧٢ .

العَليمُ، الخبيرُ

قال الله تعالى: «وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ» ([١]).

]إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [([٢]).

فهو العليم المحيط علمه بكل شيء: بالواجبات،والممتنعات، والممكنات،فيعلم تعالى نفسه الكريمة،ونعوته المقدسة، وأوصافه العظيمة، وهي الواجبات التي لا يمكن إلا وجودها، ويعلم الممتنعات حال امتناعها، ويعلم ما يترتّب على وجودها لو وُجدت. كما قال تعالى: « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاّ اللهُ لَفَسَدَتَا » ([٣]). وقال تعالى: « مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ»([٤]).

فهذا وشبهه من ذكر علمه بالممتنعات التي يعلمها، وإخباره بما ينشأ عنها لو وُجدت على وجه الفرض والتقدير، ويعلم تعالى الممكنات، وهي التي يجوز وجودها وعدمها ما وجد منها وما لم يوجد مما لم تقتض الحكمة إيجاده، فهو العليم الذي أحاط علمه بالعالم العلوي والسفلي، لا يخلو عن علمه مكان ولا زمان، ويعلم الغيب والشهادة، والظواهر والبواطن، والجليّ والخفيّ. قال الله تعالى: « إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ »([٥])، والنصوص في ذكر إحاطة علم الله وتفصيل دقائق معلوماته كثيرة جداً لا يمكن حصرها ولا إحصاؤها، وأنّه لا يعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، وأنه لا يغفل ولا ينسى، وأنّ علوم الخلائق على سعتها وتنوعها إذا نسبت إلى علم الله اضمحلت وتلاشت، كما أن قُدرَهم إذا نسبت إلى قدرة الله لم يكن لها نسبة إليها بوجهٍ من الوجوه، فهو الذي علّمهم ما لم يكونوا يعلمون، وأقدرهم على ما لم يكونوا عليه قادرين.

([١]) سورة الأنعام، الآية: ١٨ .

([٢]) سورة الأنفال، الآية: ٧٥ .

([٣]) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢ .

([٤]) سورة المؤمنون، الآية: ٩١ .

([٥]) سورة الأنفال، الآية: ٧٥ .

وكما أن علمه محيط بجميع العالم العلوي والسفلي، وما فيه من المخلوقات: ذواتها، وأوصافها، وأفعالها، وجميع أمورها، فهو يعلم ما كان وما يكون في المستقبلات التي لا نهاية لها، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، ويعلم أحوال المكلفين منذ أنشأهم وبعد ما يُميتهم وبعد ما يُحييهم، قد أحاط علمه بأعمالهم كلها: خيرها وشرها، وجزاء تلك الأعمال وتفاصيل ذلك في دار القرار([٦]).

والخلاصة أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء([٧]).

([٦]) الحق الواضح المبين، ص٣٧-٣٨، وشرح القصيدة النونية للهراس، ٢/ ٧٣، وتفسير السعدي، ٥/ ٦٢١ .

([٧]) تفسير العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله، ٥/ ٦٢١ .

الحميدُ

قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ »([١]).

وذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أن الله حميد من وجهين:

أحدهما: أنّ جميع المخلوقات ناطقة بحمده، فكل حمد وقع من أهل السموات والأرض الأوّلين منهم والآخرين، وكل حمد يقع منهم في الدنيا والآخرة، وكل حمد لم يقع منهم بل كان مفروضاً ومقدّراً حيثما تسلسلت الأزمان واتصلت الأوقات، حمداً يملأ الوجود كله العالم العلوي والسفلي، ويملأ نظير الوجود من غير عدٍّ ولا إحصاءٍ، فإنّ الله تعالى مستحقة من وجوه كثيرة: منها أن الله هو الذي خلقهم، ورزقهم، وأسدى عليهم النعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيويّة، وصرف عنهم النقم والمكاره، فما بالعباد من نعمة فمن الله، ولا يدفع الشرور إلاّ هو، فيستحق منهم أن يحمدوه في جميع الأوقات، وأن يثنوا عليه ويشكروه بعدد اللحظات.

الوجه الثاني: أنه يحمد على ما له من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا، والمدائح والمحامد والنعوت الجليلة الجميلة، فله كلّ صفة كمال وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها، فكلّ صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد والثناء،فكيف بجميع الأوصاف المقدسة، فله الحمد لذاته،وله الحمد لصفاته،وله الحمد لأفعاله؛لأنها دائرة بين أفعال الفضل والإحسان،وبين أفعال العدل والحكمة التي يستحق عليها كمال الحمد،وله الحمد على خلقه، وعلى شرعه، وعلى أحكامه القدريّة، وأحكامه الشرعيّة، وأحكام الجزاء في الأولى والآخرة، وتفاصيل حمده وما يُحمد عليه لا تُحيط بها الأفكارُ، ولا تُحصيها الأقلام([٢]).

([١]) سورة فاطر، الآية: ١٥ .

([٢]) الحق الواضح المبين، ص٣٩-٤٠، وشرح القصيدة النونية للهراس، ٢/ ٧٥، وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد، ٢/ ٢١٥.

العزيزُ، القديرُ، القادرُ، المُقتدر ، القويُّ، المتينُ

هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزّة « **إِنَّ العِزَّةَ لله جَمِيعًا**» ([١])، وقال تعالى: «**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ**» ([٢])، فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم:

١ – عزّة القوة الدالّ عليها من أسمائه القوي المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُنسَب إليه قوة المخلوقات وإنْ عَظُمَتْ. قال الله تعالى: «**إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**»([٣])، وقال: «**وَاللهُ قَدِيرٌ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**»([٤])، وقال تعالى: «**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ**» ([٥]). وقال تعالى: «**وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا**»([٦]). وقال تعالى: «**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**» ([٧]).

٢ – وعزة الامتناع فإنه هو الغنيّ بذاته،فلا يحتاج إلى أحد،ولا يبلغ العبادُ ضرّه فيضرونه،ولا نفعه فينفعونه،بل هو الضار النافع المعطي المانع.

٣ – وعزة القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرّك ولا يتصرّف متصرّف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به.

([١]) سورة يونس، الآية: ٦٥ .

([٢]) سورة هود، الآية: ٦٦ .

([٣]) سورة الذاريات، الآية: ٥٨ .

([٤]) سورة الممتحنة، الآية: ٧ .

([٥]) سورة الأنعام، الآية: ٦٥ .

([٦]) سورة الكهف، الآية: ٤٥ .

([٧]) سورة القمر، الآية: ٥٥ .

فمن قوته واقتداره أنّه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وأنّه خلق الخلق ثم يميتهم ثم يُحييهم ثم إليه يُرجعون « **مَّا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ**» ([٨])، «**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ**» ([٩])، ومن آثار قدرته أنك ترى الأرض هامدة، فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ومن آثار قدرته ما أوقعه بالأمم المكذّبين والكُفّار الظالمين من أنواع العقوبات وحلول المثلات، وأنه لم يغنِ عنهم كيدهم ومكرهم ولا أموالهم ولا جنودهم ولا حصونهم من عذاب الله من شيء لّما جاء أمر ربك، وما زادوهم غير تتبيب، وخصوصاً في هذه الأوقات، فإنّ هذه القوة الهائلة، والمخترعات الباهرة التي وصلت إليها مقدرة هذه الأمم هي من إقدار الله لهم وتعليمه لهم ما لم يكونوا يعلمونه، فمن آيات الله أنّ قواهم وقُدرهم ومخترعاتهم لم تغنِ عنهم شيئاً في صدّ ما أصابهم من النكبات والعقوبات المهلكة، مع بذل جدِّهم واجتهادهم في توقي ذلك، ولكنَّ أمر الله غالب، وقدرته تنقاد لها عناصر العالم العلوي والسفلي.

ومن تمام عزته وقدرته وشمولها أنه كما أنه هو الخالق للعباد فهو خالق أعمالهم وطاعتهم ومعاصيهم، وهي أيضاً أفعالهم، فهي تضاف إلى الله خلقاً وتقديراً، وتضاف إليهم فعلاً ومباشرة على الحقيقة، ولا منافاة بين الأمرين، فإنّ الله خالق قدرتهم وإرادتهم، وخالق السبب التام خالق للمسبب، قال تعالى: «**وَالله خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**»([١٠]).

ومن آثار قدرته ما ذكره في كتابه من نصره أولياءه، على قلَّة عددهم وعُددهم على أعدائهم الذين فاقوهم بكثرة العَدد والعُدّة، قال تعالى:

«**كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ الله**» ([١١]).

([٨]) سورة لقمان، الآية: ٢٨ .

([٩]) سورة الروم، الآية: ٢٧ .

([١٠]) سورة الصافات، الآية: ٩٦ .

([١١]) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩ .

ومن آثار قدرته ورحمته ما يحدثه لأهل النار وأهل الجنة من أنواع العقاب وأصناف النعيم المستمر الكثير المتتابع الذي لا ينقطع ولا يتناهى([١٢]). فبقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبّرها، وبقدرته سوّاها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وبقدرته يقلِّب القلوب ويصرفها على ما يشاء الذي إذا أراد شيئاً قال له:]كُن فَيَكُونُ [([١٣]). قال الله تعالى: «**أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» ([١٤]).

([١٢]) الحق الواضح المبين،ص٤٥-٤٦،وانظر شرح النونية للهراس،٢/ ٧٨،وتفسير السعدي،٥/ ٦٢٤.

([١٣]) تفسير العلامة السعدي، ٥/ ٦٢٤، والآية من سورة يس: ٨٢ .

([١٤]) سورة البقرة، الآية: ١٤٨ .

الغَنِيُّ

قال الله تعالى: «وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى»([١]). وقال الله تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ»([٢]). فهو تعالى (الغني) الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه لكماله وكمال صفاته التي لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنياً، فإنّ غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا محسناً، جواداً، براً، رحيماً كريماً، والمخلوقات بأسرها لا تستغني عنه في حال من أحوالها، فهي مفتقرة إليه في إيجادها، وفي بقائها، وفي كل ما تحتاجه أو تضطر إليه، ومن سعة غناه أن خزائن السموات والأرض والرحمة بيده، وأن جوده على خلقه متواصل في جميع اللحظات والأوقات، وأن يده سحاء الليل والنهار، وخيره على الخلق مدرار.

ومن كمال غناه وكرمه أنّه يأمر عباده بدعائه، ويعدهم بإجابة دعواتهم وإسعافهم بجميع مراداتهم، ويؤتيهم من فضله ما سألوه وما لم يسألوه، ومن كمال غناه أنه لو اجتمع أول الخلق وآخرهم في صعيد واحد فسألوه، فأعطى كلاً منهم ما سأله وما بلغت أمانيه ما نقص من ملكه مثقال ذرّة.

ومن كمال غناه وسعة عطاياه ما يبسطه على أهل دار كرامته من النعيم واللذات المتتابعات، والخيرات المتواصلات، مما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ومن كمال غناه أنه لم يتخذ صاحبةً، ولا ولداً، ولا شريكاً في الملك، ولا ولياً من الذل، فهو الغني الذي كمل بنعوته وأوصافه، المغني لجميع مخلوقاته([٣]).

والخلاصة أن الله الغني الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه، وهو المغني جميع خلقه، غنىً عاماً، والمغني لخواص خلقه، بما أفاض على قلوبهم، من المعارف الربانية، والحقائق الإيمانية([٤]).

([١]) سورة النجم، الآية: ٤٨ .

([٢]) سورة فاطر، الآية: ١٥ .

([٣]) الحق الواضح المبين، ص٤٧-٤٨، وشرح النونية للهراس، ٢/ ٧٨.

([٤]) تفسير الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ٥/ ٦٢٩.

الحكيمُ

قال الله تعالى: «وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ»([١]).

وهو تعالى ((الحكيم)) الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطّلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلْقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال.

وحكمته نوعان:

النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتملاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً، فلو اجتمعت عقول الخلق من أولهم إلى آخرهم ليقترحوا مثل خلق الرحمن أو ما يقارب ما أودعه في الكائنات من الحسن والانتظام والإتقان لم يقدروا، وأنّى لهم القدرة على شيء من ذلك، وحسب العقلاء الحكماء منهم أن يعرفوا كثيراً من حكمه، ويطَّلعوا على بعض ما فيها من الحسن والإتقان. وهذا أمر معلوم قطعاً بما يُعلم من عظمته وكمال صفاته، وتَتَبُّع حكمه في الخلق والأمر، وقد تحدَّى عباده وأمرهم أن ينظروا ويكرّروا النظر والتأمل هل يجدون في خلقه خللاً أو نقصاً، وأنه لابد أن ترجع الأبصار كليلة عاجزة عن الانتقاد على شيء من مخلوقاته.

النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأي حكمة أجلّ من هذا، وأيّ فضل وكرم أعظم من هذا، فإنّ معرفته تعالى وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص العمل له وحمده، وشكره والثناء عليه أفضل العطايا منه لعباده على الإطلاق، وأجلّ الفضائل لمن يمنّ الله عليه بها.

وأكمل سعادة وسرور للقلوب والأرواح، كما أنها هي السبب الوحيد للوصول إلى السعادة الأبدية والنعيم الدائم، فلو لم يكن في أمره وشرعه إلا هذه الحكمة العظيمة التي هي أصل الخيرات،

([١]) سورة الأنعام، الآية: ١٨ .

وأكمل اللذات، ولأجلها خلقت الخليقة وحق الجزاء، وخلقت الجنة والنار، لكانت كافية شافية.
هذا وقد اشتمل شرعه ودينه على كل خير، فأخباره تملأ القلوب علماً، ويقيناً، وإيماناً، وعقائد صحيحة، وتستقيم بها القلوب ويزول انحرافها، وتثمر كل خلق جميل وعمل صالح وهدى ورشد.
وأوامره ونواهيه محتوية على غاية الحكمة والصلاح والإصلاح للدِّين والدنيا، فإنه لا يأمر إلا بما مصلحته خالصة أو راجحة، ولا ينهى إلا عما مضرّته خالصة أو راجحة.
ومن حكمة الشرع الإسلامي أنه كما أنه هو الغاية لصلاح القلوب، والأخلاق، والأعمال، والاستقامة على الصراط المستقيم، فهو الغاية لصلاح الدنيا، فلا تصلح أمور الدنيا صلاحاً حقيقياً إلا بالدين الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا مشاهد محسوس لكل عاقل، فإنّ أُمّة محمد لما كانوا قائمين بهذا الدين أصوله وفروعه وجميع ما يهدي ويرشد إليه، كانت أحوالهم في غاية الاستقامة والصلاح، ولمّا انحرفوا عنه وتركوا كثيراً من هداه، ولم يسترشدوا بتعاليمه العالية، انحرفت دنياهم كما انحرف دينهم.
وكذلك انظر إلى الأمم الأخرى التي بلغت في القوة، والحضارة، والمدنية مبلغاً هائلاً، ولكن لمّا كانت خالية من روح الدين ورحمته وعدله، كان ضررها أعظم من نفعها، وشرها أكبر من خيرها، وعجز علماؤها وحكماؤها وساستها عن تلافي الشرور الناشئة عنها، ولن يقدروا على ذلك ما داموا على حالهم؛ ولهذا كان من حكمته تعالى أنّ ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الدين والقرآن أكبر البراهين على صدقه وصدق ما جاء به؛ لكونه محكماً كاملاً لا يحصل إلا به.
وبالجملة فالحكيم متعلقاته المخلوقات والشرائع، وكلها في غاية الإحكام، فهو الحكيم في أحكامه القدرية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية، والفرق بين أحكام القدر وأحكام الشرع أن القدر متعلّق بما أوجده وكوّنه وقدّره، وأنه ما شاء كان وما لم يشأْ لم يَكُنْ، وأحكام الشرع متعلقة بما شرعه، والعبد المربوب لا يخلو منهما أو من أحدهما، فمن فعل منهم ما يحبّه الله ويرضاه فقد اجتمع فيه الحكمان، ومن فعل ما يضادّ ذلك فقد وجد فيه الحكم القدري؛ فإنّ ما فعله واقع بقضاء الله وقدره ولم يوجد في الحكم الشرعي لكونه ترك ما يحبه الله ويرضاه. فالخير، والشر والطاعات، والمعاصي كلها متعلقة وتابعة للحكم القدري، وما يحبه الله منها هو تابع الحكم الشرعي ومتعلّقه. والله أعلم([٢]).

([٢]) الحق الواضح المبين،ص٤٨-٥٤،وانظر:شرح النونية للهراس،٢/ ٨٠،وتفسير السعدي،٥/ ٦٢١، وتوضيح المقاصد المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، ٢/ ٢٢٦.

الحَليمُ

قال الله تعالى: «وَاعْلَمُواْ أَنَّ الله يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ الله غَفُورٌ حَلِيمٌ» ([١]).

الذي يَدِرُّ على خلقه، النعم الظاهرة والباطنة، مع معاصيهم وكثرة زلاَّتهم، فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم. ويستعتبهم كي يتوبوا، ويمهلهم كي ينيبوا([٢]).

وهو الذي له الحلم الكامل الذي وسع أهل الكفر والفسوق، والعصيان حيث أمهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة ليتوبوا، ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورها منهم؛ فإن الذنوب تقتضي ترتب آثارها عليها من العقوبات العاجلة المتنوعة، ولكن حلمه سبحانه هو الذي اقتضى إمهالهم([٣]) كما قال تعالى: «وَلَوْ يُؤَاخِذُ الله النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ الله كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا» ([٤])، وقال تعالى: « وَلَوْ يُؤَاخِذُ الله النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ»([٥]).

([١]) سورة البقرة، الآية: ٢٣٥ .

([٢]) تفسير الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ٥/ ٦٣٠ .

([٣]) شرح النونية للهراس، ٢/ ٨٦ .

([٤]) سورة فاطر، الآية: ٤٥ .

([٥]) سورة النحل، الآية: ٦١ .

www.knowingallah.com